

الأسباب الموصلة إلى إجابة الدعاء

د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل (*)

مقدمة:

الحمد لله، الحكيم العدل، اللطيف الخبير، نحمده هو أهل الحمد والثناء، والبذل والعطاء، علمنا كيف ومتى ندعوه. والصلاة والسلام على من به انكشفت الظلمات، وخمدت للكفر بفضل منارات، سيدنا محمد، معلم الإنسانية وهادي البشرية إلى صراط ربها المستقيم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،،،

إنَّ كرم الله تعالى في إعانة عبده المفتقرين إليه لا حدود له، بل إنه جلَّ شأنه أكرم الأكرمين، وأجود الجوادين، يعرض كرمه على عباده، يطلب إليهم أن يدعوه ويتعهد لهم بالإجابة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو القريب إليهم إذا ما لجأوا إليه، واستنصروا به وسألوه، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وللدعاء آداب وشروط ينبغي على الداعي أن يلتزم بها حتى يكون مستجاب الدعوة، كما أن عليه أن يتحرى الأزمنة والأمكنة التي فيها مظنة إجابة الدعاء، كنزول الغيث، وعند التحام الصفوف، وفي السحر، وما بين الأذان والإقامة... الخ.

(*) أستاذ مشارك، عميد كلية الشريعة فرع الجامعة بالأبيض (ولاية شمال كردفان).



د. يوسف إبراهيم محمد أبو سويل

ويهدف هذا البحث إلى بيان الأسباب المؤدية إلى إجابة الدعاء، حتى نتمسك بها ونراعيها في دعائنا، كما يوضح البحث الأسباب المانعة لإجابة الدعاء فنحذرنا ونتجنبها، وذلك في مبحثين.
والله تعالى أسأل أن يكون هذا البحث نافعاً مفيداً، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: آداب الدعاء

للدعاء آداب تجب مراعاتها عند لجوء الداعي إلى ربه الملك الرحيم الكريم، وهنالك جملة من الآداب، نذكر منها ما يلي:

[١] التوبة والإنابة إلى الله عز وجل:

إنَّ من الآداب التي يجب أن يتحلى بها الداعي هي توبته النصوح من كلِّ ما يغضب الله عزَّ وجلَّ الذي يتوجَّه إليه بالسؤال والدعاء والتضرُّع، وذلك حسب طاقته البشريَّة، فإنَّ ما يحل بالإنسان من مصائب يكون بسبب المعاصي في أكثر الأحوال، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فالتوبة هي تغيير لحال العبد من حال إلى حال، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقَوْمٌ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إنَّ الذنوب من أكبر الأسباب لسد أبواب الاستجابة أمام الداعي، ولذلك قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفِعَ إلاَّ



بتوبة"^(١)، وقال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله -: "لا تستبطئ الإجابة إذا دعوت وقد سددت طرقها بالذنوب"^(٢). وقد أخذ هذا المعنى أحد الحكماء فنظمه في قوله:

نحن ندعوا الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعاء قد سددا طرقها بالذنوب

إنَّ من أقوى أسباب الفلاح والنجاح للعبد في الدنيا والآخرة هي التوبة الخالصة له سبحانه وتعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٦]، فأَيُّ فلاح ينتظره العبد في الدنيا أعظم من رضى الله تعالى، وأن يكون العبد مستجاب الدعاء.

[٢] الخشوع والخضوع واستحضار القلب مع عدم رفع الصوت بالدعاء :

والمراد بالخشوع والخضوع وحضور القلب أن يقصد بدعائه الخضوع والتذلل لعظمة ربه، كما هو وصف العبد اللازم له، ولا يكون الدعاء بلسانه، والغفلة بجنانه، فيكون مانعاً له من مراده، روي أن موسى عليه السلام مرَّ على رجل يسأل ويلح في الدعاء، فقال موسى: يا ربِّ لو كانت إليَّ حاجة هذا الإنسان، وسألني لأعطيته إيَّاه، فقال: {يا موسى إنَّه يسألني بلسانه وقلبه مع غنمه}^(٣)، فلو كان متوجهاً بجنانه حال الدعاء بلسانه لنال مراده والله أعلم.

إنَّ الخشوع والخضوع أرجى لقبول الدعاء؛ لأنَّ فيه تعظيم الله تعالى، واستحضار الضعف مع التأدب عند مناجاة الربِّ، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن قيم الجوزية، ص ٥٨.

(٢) شعب الإيمان: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ٥٤/٢.

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية: للإمام محمد بن علان الصديقي الشافعي، ٢٤٣/٤-٢٤٤.

تَضْرَعًا وَخُفِيَّةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥-٥٦﴾
[الأعراف: ٥٥-٥٦].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -: " هذا أمر بالدعاء وتعبده به، ثم قرن
جلَّ وعزَّ بالأمر صفات تحسن معه، وهي الخشوع، والاستكانة، والتضرُّع، أمر
بأن يكون الإنسان في حالة ترقُّب وتخوُّف وتأمل لله عزَّ وجلَّ حتَّى يكون الرجاء
والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يميلانه في طريق استقامته، وإن انفرد
أحدهما هلك الإنسان، قال تعالى: ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ
عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، فرجى وخوَّف فيدعوه الإنسان
خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه، قال تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال بعض أهل العلم: ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء
طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء، قال النبي ﷺ: (لا يموتن أحدكم إلاَّ
وهو يحسن الظن بالله) ^(١).

قد مدح الله تعالى عبده زكريا عليه السلام وأهله بتذلُّلهم عند دعائهم، قال الله
تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ذكر الحافظ ابن كثير بسنده عن عبد الله بن حكيم
قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أمَّا بعد، فأني أوصيكم بتقوى الله، وتشتوا عليه
بما هو له أهل، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإنَّ الله أثنى

(١) صحيح مسلم، باب الأمر بحسن الظن بالله، برقم ٥١٢٥. وانظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم: لأبي

عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ٢٢٣/٤-٢٢٧.

على زكريا وأهل بيته فقال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ^(١).

كما أن الدعاء مع هذه الهيئة يكون كما قال الله تعالى ﴿خُفِيَةً﴾؛ لأن ذلك يكون أبعد من الرياء، ولقد مدح الله زكريا ﷺ بقوله ﴿إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خُفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ يَهَا وَابْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، ذكر صاحب "التفسير الكبير": "إن المراد بالصلاة الدعاء، وهذا قول عائشة - رضي الله عنها - وأبي هريرة، ومجاهد، وروي هذا مرفوعاً أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: إنما ذلك في الدعاء والمسألة، لا ترفع صوتك فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك، فتعير بها، فالجهر بالدعاء منهى عنه، والمبالغة في الإسرار غير جائزة، والمستحب من ذلك التوسط وهو أن يسمع نفسه، كما روي عن ابن مسعود أنه قال: "لم يخافت من أسمع أذنيه". وروي عن الإمام مالك أنه قال: "إنما أنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ يَهَا وَابْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] في الدعاء" ^(٢).

وفي "الجامع لأحكام القرآن" أن الشريعة مقررة أن السر فيما يعترض من أعمال البر أعظم أجراً من الجهر. قال الحسن بن أبي الحسن: لقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدر على أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً ^(٣).

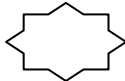
(١) تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، دار الفتح العربي، ١٨٥/٣.

(٢) انظر: التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، ٧٢/١١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ٢٢٣/٧ - ٢٢٤.

ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا همس بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وبيّن العلامة ابن قيم الفوائد العديدة لإخفاء الدعاء، فيقول:
أولها: أنه أعظم إيماناً؛ لأنّ صاحبه يعلم أنّ الله يسمع دعاءه الخفي.
ثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الصوت، وإنّما تخفض عندهم الأصوات، ويخفت عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه ومن رفع صوته لديهم مقتوه، والله المثل الأعلى، فإذا ربنا يسمع الدعاء الخفي، فلا يليق بين يديه إلا خفض الصوت.
ثالثها: أنه يعني الإخفاء. أبلغ في التضرّع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإنّ الخاشع الذليل الخاضع إنّما يسأل مسألة ذليل قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته.
رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.
خامسها: أنه أبلغ في جمعه القلب على الله في الدعاء، فإنّ رفع الصوت يفرّقه ويشتتّه، فكلّما خفض صوته كان أبلغ في حمده، وتجريد همته، وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.
سادسها: وهو من النكت السريعة البديعة جداً أنه دالٌّ على قرب صاحبه من الله، وأنه لاقترابه منه، وشدة حضوره يسأله أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.



سابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإنَّ اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنه يكلُّ لسانه وتضعف بعض قواه"^(١).
مع هذا كله يجب أن يكون الداعي حاضر القلب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عزَّ وجلَّ أيُّها النَّاس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنَّ الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل)^(٢).

[٢] رفع اليدين عند الدعاء:

قال الإمام السيوطي - رحمه الله - في شرحه لتقريب الإمام النووي ممثلاً لما تواتر معناه عن النَّبِيِّ ﷺ: "فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفع يديه في الدعاء، وقد جمعتها في جزء، لكنها في قضايا مختلفة، فكلُّ قضية منها لم تتواتر، والقدر المشترك فيه هو الرفع عند الدعاء باعتبار المجموع"^(٣).
وعقد الإمام البخاري في كتاب الدعوات باباً اسمه: "رفع اليدين في الدعاء"، و ذكر جملة من الأحاديث في المسألة منها:
قال أبو موسى الأشعري ﷺ: "دعا النَّبِيِّ ﷺ ثم رفع يديه ورأيت بياض أبطيه"^(٤).

(١) التفسير القيم: للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ص ٨٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عمرو، برقم ٦٣٣٨، ٤٠٦٢ (المكتبة الشاملة، الإصدار الثانية).

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: للسيوطي، ١٨٠/٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، ١٤١/١.



د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن الرسول الله ﷺ قال:
(لا تستروا الجُدْر، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار، سلوا
الله ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم) (١).
وعن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "المسألة أن ترفع
يديك حذو منكبيك أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بإصبع واحد، والابتهاج أن
تمد يديك جميعاً" (٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها رأت النبي ﷺ يدعو رافعاً يديه يقول:
(اللهم إنما أنا بشر) (٣).

وجمهور العلماء على القول برفع اليدين عند الدعاء، للأدلة والآثار
السابقة، ومن العلماء من كره ذلك، ومنهم: سعيد بن المسيب، وسعيد بن
جبير، ورأى شريح رجلاً رافعاً يديه فقال: مَنْ تناول بهما لا أم لك! وقال
مسروق لقوم رفعوا أيديهم: قطعها الله. واختاروا إذا دعا الله في حاجة أن يشير
بالسبابة. ويقولون: ذلك الإخلاص. وكان قتادة يشير بإصبعه ولا يرفع يديه.
وكره رفع الأيدي عطاء، وطاوس، ومجاهد، وغيرهم، وروى جواز الرفع
جماعة من الصحابة والتابعين (٤).

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ١٤٨٥.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ١٤٨٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، ١٤٢/١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ٢٢٤/٤.



وفي قوله تعالى ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. ذكر الإمام القرطبي: "قيل: "الرغب": رفع بطون الأكف إلى السماء، و"الرهب": رفع ظهورها"^(١).

والرأي الراجح هو رأي الجمهور؛ لصحة الآثار التي دلت عليه، وعند نهاية الدعاء يمسح الداعي بهما وجهه في دعائه بالخير، وروى الترمذي قال: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه". قال ابن الملك: وذلك على سبيل التفاؤل، فكأن كفيه قد ملئت من البركات السماوية والأنوار الإلهية"^(٢).

روى ابن ماجه عن سلمان عن النبي ﷺ قال: (إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع يديه إليه فيردهما صفراً أو قال خائبين)^(٣).

و في معنى الحديثين - حديث الترمذي وحديث ابن ماجه - جاء في "تحفة الأحوذى": "وفيه دليل على مشروعية مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء وقيل: كأن المناسبة أنه تعالى لما كان لا يردهما صفراً، فكأن الرحمة أصابتها، فناسب إفاضة ذلك على الوجه الذي هو أشرف الأعضاء وأحقها بالتكريم"^(٤).

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، ٣٣٧/٦.

(٢) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي: للإمام الحافظ أبي العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ٣٢٨/٩ - ٣٢٩.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء، برقم ٣٨٥٥.

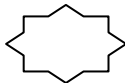
(٤) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، ٣٢٩/٩.

[٤] استقبال القبلة :

هذا أدب من آداب الدعاء، فهو أجمع لاستحضار القلب والخشوع بين يدي الله تعالى، لأنَّ هذه القبلة هي قبلة المؤمنين في الصلاة - وهي أعظم ركن في الإسلام - ويستقبلون بها موتاهم وذبائحهم، ويكره استقبالها عند البول وقضاء الحاجة، لهذا فحريُّ بالداعي أن يتوجَّه إليها وقت دعائه لفضلها وشرفها. وقد وردت أحاديث صحيحة عن المعصوم عليه السلام توجَّه بدعائه إلى القبلة، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم - رحمهما الله تعالى - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "استقبل النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة، فدعى على نفر من قريش، على شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبي جهل بن هشام، فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً"^(١).

وفي استقباله صلى الله عليه وآله وسلم للقبلة في دعائه أخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المشركين - وهم ألف وصحابته ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم القبلة، ثم مدَّ يديه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتَّى سقط رداؤه عن منكبيه، فأثاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك،

(١) صحيح البخاري، باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، برقم ٣٦٦٥، ٣٥٧/١٢، وصحيح مسلم، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، برقم ٣٣٥١، ٢٧٧/٩، (المكتبة الشاملة).



فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩] " (١).

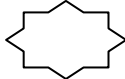
مع صحة هذه الأحاديث فلا يُعدُّ استقبال القبلة شرط في الدعاء، فقد ورد عنه ﷺ أنه دعا وهو غير مستقبل القبلة، والأئمة على المنابر يدعون غير مستقبلين القبلة، كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام في صلاة الجمعة.

[٥] استفتاح الدعاء بالثناء على الله عز وجل بما هو أهله :

إنَّ مَنْ يَتَوَجَّهْ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ شَعُورِهِ بِضَعْفِهِ، وَحَاجَتِهِ الْمَاسَةِ إِلَى مَلِكِ الْمَلُوكِ، وَمَنْ بِيَدَيْهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَنْ يَحْمَدَ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيَمَجِّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ وَسِيلَتَهُ إِلَى رِضَا رَبِّهِ وَقَبُولِ دَعَائِهِ، فَإِنَّ الْمَتَّبِعَ لِأَدْعِيَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَحَادِيثِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، يَجِدُ ذَلِكَ بَيِّنًا وَوَاضِحًا - كُلُّ الْوَضُوحِ - وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَعْظَمُ وَأَفْضَلُ سُورِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَمَّ الْقُرْآنَ، وَالْجَامِعَةَ لِمَقْصَدِهِ، بَدَأَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ وَمَجَّدَتْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ ذَكَرَتْ الْإِعْتِرَافَ بِعِبُودِيَّتِهِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَحْدَهُ، وَشَرَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَعْظَمِ دَعَاءٍ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

قال العلامة ابن قيم - رحمه الله تعالى -: "ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده، والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، برقم ٣٣٠٩، ٢١٤/٩ (المكتبة الشاملة).



د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل

عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليهم بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يردّ معهما الدعاء^(١).

ومن أدعية القرآن المبدوءة بتمجيد الله تعالى:

• دعاء يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
[الأنبياء: ٨٧].

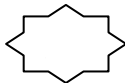
• ودعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبُّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

• ودعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

أما الأحاديث التي افتتح فيها الدعاء بالثناء على الله عز وجل فكثيرة، كالذي رواه ابن أبي شيبه في مصنفه من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: "اللهم لك الحمد، أنت قِيَامَ السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق وقولك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، وأنت المقدم والمؤخر، لا إله إلا أنت"^(٢).

(١) مدارج السالكين بين إيك نعبد وإيك نستعين: لابن قيم، ٢٣٨.

(٢) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وانظره في: مصنف ابن أبي شيبه، ٥١٧ (المكتبة الشاملة).



وروى الإمام أحمد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: "ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح دعاء إلا استفتحه بـ: (سبحان ربِّي الأعلى العليُّ الوهاب) ^(١).

[٦] استفتاح الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

إنَّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أجلِّ القربات وأفضل الطاعات، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقد وردت آثار توضح استفتاح الدعاء وختمه بها منها حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يحمده الله تعالى ولم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: (عجل هذا)، ثم دعاه فقال له أو لغيره: (إذا صلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بعد بما شاء) ^(٢).

إنَّ للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع الدعاء حالات ثلاث:

أحدها: أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء، وبعد حمد الله تعالى.

والثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء، وأوسطه، وآخره.

والثالثة: أن يصلي عليه أوله وآخره، ويجعل حاجته متوسطة بينهما ^(٣).

قد وردت آثار تبين فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بين الدعاء، ومن ذلك: قال أبو سليمان الدارني: "من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله يقبل

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ٢٧/١٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ١٤٨١.

(٣) فقه الأذعية والأذكار: لعبد الرازق بن عبد المحسن البدر، ص ٢٠٧.

د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل

الصلواتين، وهو أكرم من أن يردّ ما بينهما". وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "الدعاء يجلب دون السماء حتى يصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رفع الدعاء"^(١).

ومن ذلك يستحب ختم الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، روى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إنّ الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم"^(٢).

وروى رزين بن معاوية في كتابه مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد حتى يصلّي عليّ، فلا تجعلوني كقدح الراكب، صلّوا عليّ أول الدعاء، وآخره، وأوسطه)^(٣).

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلي، حمد الله وصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ادع تُجَب)^(٤).

[٧] تحرى أوقات استجابة الدعاء:

قال الإمام القرطبي: "للدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة، وذلك كالسحر، ووقت الفطر، وما بين الأذان والإقامة، وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء، وأوقات الاضطراب، وحالة السفر والمرض، وعند نزول المطر، والصف في سبيل الله، كلّ هذا جاءت به الآثار، ويأتي بيانها في مواضعها. وروي شهر بن حوشب أن أم الدرداء قالت: يا شهر ألا تجد القشعريرة؟ قلت:

(١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ٢٣٥/٧.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، برقم ٤٨٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ٤٢٨٣.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٤٧٦.



نعم. قالت: فادع الله، فإنَّ الدعاء مستجاب عند ذلك. وقال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: دعا رسول الله ﷺ في مسجد الفتح ثلاثاً يوم الاثنين ويوم الثلاثاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرفت السرور في وجهه. قال جابر: ما نزل بي أمرٌ مهمٌ غليظٌ إلاَّ توخيت تلك الساعة فأدعوه فيه، فأعرف الإجابة" (١).

إنَّ من حكمة الله عزَّ وجلَّ أنْ فضَّلَ بعض الأزمنة على بعض، فهناك أوقات فاضلة، وردت فيها آثار تدلُّ على شرفها، ومن هذا:

[أ] عشر ذي الحجة:

فقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ) قَالُوا: وَكَأَ الْجِهَادِ، قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ) (٢).

[ب] الدعاء يوم عرفة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ الدَّعَاءِ دَعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣).

ويوم عرفة هو أفضل أيام السنة، لذا يستحب فيه الإكثار من الدعاء.

(١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ٣٦٣/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل العمل في أيام التشريق، برقم ٩١٦، ٣٣/٤.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٥٨٥.



[ج] الدعاء يوم الجمعة وليلتها:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها)^(١).

[د] الدعاء حين يبقى ثلث الليل الأخير:

روي البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فاستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له)^(٢).

[هـ] ومن الأزمنة الفاضلة شهر رمضان المبارك:

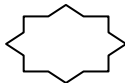
ولا سيما العشر الأواخر منه، وخاصة ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وقد ثبت في الترمذي وغيره عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله: أرايت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟! قال: (قولي): (اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني)^(٣).

وقال صاحب "الفتوحات": "شهر رمضان، لأنه شهر تصب فيه الرحمات، وتنزل فيه البركات، ومن أعظمها إجابة الدعوات، ثم الإنسان في هذا الشهر إما صائم أو تارك له لعذر من سفر أو مرض، وكل مما ذكر من أسباب الإجابة

(١) أخرجه الشيخان: البخاري في كتاب الجمعة برقم ٨٣٣، ٣٣/٤، ومسلم في كتاب الجمعة برقم ١٤٠٧، ٣٣٢/٤ (المكتبة الشاملة).

(٢) أخرجه الشيخان: البخاري، باب الدعاء في الصلاة، برقم ١٠٧٧، ومسلم في باب الترغيب في الدعاء، برقم ١٢٦١ (المكتبة الشاملة).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٥١٣.



للدعاء، فيجتمع مع ذلك شرف الشهر، ففي الحديث الصحيح: (رمضان سيد الشهور)^(١).

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً وحض على رمضان: (أتاكم شهر رمضان، شهر البركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، وينظر فيه إلى تنافسكم، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله فيه من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حُرِمَ فيه رحمة الله)^(٢).
قال الحافظ المنذري: "ورواته ثقات إلا محمد بن عيسى لا يحضرنى فيه جرح ولا تعديل، قلت: مع ذلك يحتج به في المقام لأنه من الفضائل، والله أعلم"^(٣).

[و] ما بين الأذان والإقامة:

لما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، فادعوا)^(٤).

[ز] الدعاء عند النداء، وعند الالتحام مع جيش العدو:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثنتان لا تردان أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً)^(٥).

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٥٧/٢، بلفظ: (سيد الشهور رمضان)، وكذلك رواه البيهقي في شعب

الإيمان، برقم ٣٤٨٣، بلفظ: (سيد الشهور رمضان) (المكتبة الشاملة).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين، برقم ٢١٨، ٤٢٩٦ بلفظ قريب من هذا (المكتبة الشاملة).

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، مرجع سابق، ٢٤٤/٧ - ٢٤٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، برقم ٢١٢.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، برقم ٢٥٤٠.



[٨] الدعاء بعد الصلوات المكتوبة :

عن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أيّ الدعاء أسمع؟! قال: (جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات)^(١).

وأوصى صلوات الله وسلامه عليه معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقول في دبر كلّ صلاة: (اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)^(٢).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "إنّ أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة، فاغتنموا الدعاء فيها.

وقال مجاهد: إنّ الصلاة جعلت في خير الساعات، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات"^(٣).

[٩] الدعاء عند ختم القرآن :

عن قتادة - التابعي الجليل، الإمام، صاحب أنس رضي الله عنه - قال: "كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا"^(٤).

[١٠] أن يتحرى أحوال استجابة الدعاء :

ومن هذه الأحوال:

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٤٩٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ١٥٢٢.

(٣) إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد الغزالي، ٣١٢/١.

(٤) حلية الأبرار وشعار الأخيار قي تلخيص الدعوات والأذكار: للإمام النووي، ٢٤٤/٢.



[أ] حالة السجود:

وذلك لما ورد فيه من أحاديث، كما أنه حالة خضوع وانكسار لله عز وجل، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء)^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إنني نهيت أن أقرأ القرآن راکعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم)^(٢).
أي جدير أن يستجاب لكم.

[ب] حالة السفر:

روى أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث دعوات لا شك فيهن: دعوة المسافر، والمظلوم، والوالد على ولده)^(٣).

[ج] حالة الخروج للغزو في سبيل الله والحج والعمرة:

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر، وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم)^(٤).

[د] حالة وقوع الظلم بالشخص:

ومما جاء في دعوة المظلوم وصيته صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه لليمن،

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع، برقم ٧٤٤، ٢٩٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، برقم ٧٣٨، ٢٢٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، برقم ٩٢٣٣، ٣٤٠/٩.

(٤) سنن ابن ماجه، فضل دعاء الحاج، برقم ٢٨٨٤، ٤٤٠/٨.

فقال: (... واتق دعوة المظلوم، فإنَّها ليس بينها وبين الله حجاب)^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث دعوات يستجاب لهنَّ،

لا شكَّ فيهنَّ: دعوة المظلوم. ودعوة المسافر ودعوة الوالد لولده)^(٢).

[هـ] الدعاء عند نزول المطر والتقاء الجيوش:

روى الإمام الشافعي بسنده عن النَّبِيِّ ﷺ قال: (اطلبوا استجابة الدعاء

عند: التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث)^(٣).

وروى الحاكم عن سهل بن سعد مرفوعاً: (اثنان لا تردان - أوقال: قلَّ ما

تردان -: الدعاء عند النداء، وتحت المطر)^(٤).

[ز] الدعاء عند حالة الاضطرار:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]،

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو ذو الضرورة، الجهد". وقال السدي:

"الذي لا حول له ولا قوَّة". وجاء رجل إلى مالك بن دينار فقال: أسألك بالله أن

تدعو لي، فأنا مضطر، قال: "إذا فأسأله، فإنَّه يجيب المضطر إذا دعاه".

قال الشاعر:

وإنِّي لأدعو الله والأمر ضيق

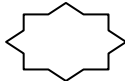
أصاب لها لما دعا الله مخرجا

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، برقم ١٤٠١، ٣٥٦/٥ (المكتبة الشاملة).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، برقم ٣٨٥٢، ٣٣٣/٥ (المكتبة الشاملة).

(٣) الأم: للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ٢٨٩/٤ (المكتبة الشاملة).

(٤) المستدرک على الصحيحين: للحاكم، برقم ١٤٠/٦، ٢٤٨٨ (المكتبة الشاملة).



ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أن الضرورة إليه بالالتجاء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عمًا سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وجد، من مؤمن أو كافر طائع أو فاجر، كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُتِجِتْنَا مِنْ هَٰذَا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم، مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم. وقال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه^(١).

[١١] تحري إمكانية استجابة الدعاء:

روى صاحب "الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية" عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى - "أن الدعاء يستجاب في البيت الحرام في خمسة عشر موضعاً: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي السعي، وخلف المقام، وفي عرفات، وفي مزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاث، فمحروم من لا يجتهد في الدعاء فيها"^(٢).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، مرجع سابق، ٢٣٣/٧.

(٢) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، مرجع سابق، ٣٨٧-٣٨٧.



د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل

أفضل ما يكون الدعاء للحاج يوم عرفة، لما روي عنه ﷺ أنه قال: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)^(١).

كما أن في الحج أماكن يسن للمسلم أن يقف عندها ويتوجه بالدعاء إلى الله عز وجل، اقتداء بالنبي ﷺ.

[١٢] عدم تكلف السجع فيه :

الكلام المسجوع: "هو الكلام المقفي من غير مراعاة وزن"، و الدعاء إن لم يكن متكلفاً ولا صارفاً عن حضور القلب لا مانع منه، فقد وردت بعض الأدعية عنه ﷺ مسجوعة، كقوله ﷺ: (اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب)^(٢)، وكدعائه ﷺ: (اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)^(٣)، وكدعائه ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع)^(٤).

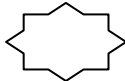
والسجع المتكلف ينافي مقام الدعاء؛ لأنه مقام تذلل وخشوع وانكسار بين يدي ملك الملوك، رب العزة والجلال، وهذا الذي نهى عنه السلف والخلف، وروى البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "حدثت الناس كل جمعة، قال: فإن أبيت فمرتين فإن"

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٥٨٥.

(٢) صحيح البخاري، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تنزل الشمس، برقم ١٢٤/١٠، ٢٧٤٤.

(٣) سنن أبي داود، باب في الاستغفار، برقم ١٣٠١، ٣٦٨/٤، ومصنف ابن أبي شيبة، ١٣٤/٧.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٤٨٢.



أكثر فثلاث مرات، ولا تملّ النَّاس، هذا حديث القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم - وهم في حديث من معيشتهم - فتقص عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملّهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدّثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك^(١). يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

كما نجد أنّ الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - يعيب على الذين يدعون بأدعية متكلّفة السجع، وقد لا يفهم الداعي معناها، فيقول - رحمه الله تعالى -: "ومنها أن يدعو بما ليس من الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظاً منمقة، وكلمات مسجعة، قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معول عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء"^(٢).

إنّ الله عزّ وجلّ السميع البصير يسمع الدعاء بأيّ لسان ولغة، إذا استوفى شروط الإجابة عنده، لذا يجب تجنّب تكلف بعض الألفاظ والعبارات التي قد توقع الإنسان في اللحن الذي ربما يغيّر المعنى ويوقع الإنسان في الإثم.

[١٣] أن يكون مشتتملاً على جوامع الكلم:

أي أن يكون جامعاً لخيري الدنيا والآخرة، وأن يكون الدعاء قليل العبارات، متضمناً لحاجيات الداعي.

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء، برقم ٥٨٦٢، ٤١١/١٩ (المكتبة الشاملة).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، مرجع سابق، ٢٦٦٧.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت بجوامع الكلم)^(١)، لقد أعطي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم التي فسرها الإمام الزهري بقوله: "بلغني أن جوامع الكلم أن يجمع الله عز وجل له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد والأميرين، ونحو ذلك"^(٢).

كما قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء، ويدع ما بين ذلك"^(٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا)^(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "وكنت أسمع صلى الله عليه وسلم يكثُر أن يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والدين، وقهر الرجال)^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب النصر، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، برقم ٢٧٥٥، ١٤٥/١٠ (المكتبة الشاملة).

(٢) دلائل النبوة، للإمام البيهقي، باب ما جاء في تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٨٦٦.

(٣) أخرجه أحمد، مسند الأنصار، برقم ٢٣٩٩٦، ١٥٣/٤.

(٤) سنن ابن ماجه، باب الجوامع من الدعاء، برقم ٣٨٣٦، ٣٠٠/١١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التعمود من غلبة الرجال، برقم ٥٨٦٦، ٤٥١/١٩.

وعنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يدعو يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والجبن والبخل، وفتنة المسيح وعذاب القبر)^(١).
لهذا فالدعاء بما أثيرَ عن النَّبِيِّ ﷺ، وعن الصحابة، وعن سلف هذه الأمة من أهل العلم والفقهاء في الدين أولى من غيره.

[١٤] تحري الأديعية التي اشتملت على اسم الله الأعظم:

عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه قال: سمع النَّبِيَّ ﷺ رجلاً يدعو، وهو يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. قال: فقال: (والذي نفسي بيده قد سألت الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى)^(٢).

وعن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وفتحة آل عمران: ﴿الْمَلَّةُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١-٢]^(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً في الحلقة ورجل قائماً يصلي، فلما ركع سجد وتشهد، دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السموات والأرض، ذا الإجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك. فقال النَّبِيُّ ﷺ: (أتدرون بما دعا؟)

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٤٨٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٤٧٥.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٤٧٨.



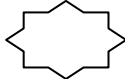
قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال (والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه العظيم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى)^(١).

[١٥] الإلحاح على الله عز وجل في الدعاء:

إن من علامة التذلل والافتقار إلى الله عز وجل في الدعاء: الإلحاح فيه والتكرار، وقد جاءت بذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى في صفة أولي الألباب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

ونجد هذا الإلحاح والتكرار في دعاء إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩].

(١) صحيح ابن حبان، باب الأدعية، برقم ٨٩٤، ٢٦٦/٤.



إنَّ المتتبع لهديه عليه الصلاة والسلام يجد ذلك في كثير من أدعيته، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً، ويستغفر ثلاثاً) ^(١).

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جنبي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي) ^(٢).

كما نجاه صلى الله عليه وسلم يأمر أمته بالإلحاح في الدعاء والجدّ في المسألة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنه يسأل ربه) ^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإنه لا يتعاطم على الله شيء) ^(٤).

وروي عن الأوزاعي - رحمه الله تعالى - "كان يقال: أفضل الدعاء: الإلحاح على الله والتضرُّع" ^(٥).

ومن آداب الدعاء: عدم الدعاء في كنيسة، وحمّام، ومحل نجاسة، وقدر لعب، ومعصية، كالأسواق التي يغلب فيها القعود والأيمان الفاسدة ^(٦).

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ١٥٢٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند ابن مسعود رضي الله عنه، برقم ٣٥٥٧، ٩٢/٨.

(٣) صحيح بن حبان، كتاب الأدعية، برقم ٨٩٠، ٣٤٤/٤.

(٤) صحيح بن حبان، كتاب الأدعية، برقم ٨٩٧، ٣٦٧/٤.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب أفضل الدعاء الإلحاح على الله، برقم ١١١٩، ١٦٦٣.

(٦) الفتوحات الربانية، مرجع سابق، ٤٢/٢.



وقد نظم ابن البدر بن جماعة شروط الإجابة، فقال:

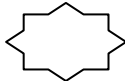
قالوا: شروط الدعاء المستجاب لنا عشرة بها بشرّ الداعي يا فلاح
طهارة، وصلاة، معهما ندم، وقت خشوع، وحسن الظنّ، يا صاح
وحلّ قوت، ولا يدعي بمعصية، واسم يناسب، مقرون بلحاح^(١)
وهذه الآداب التي ذكرت وغيرها ممّا لم يذكر إذا التزم بها الداعي فحريّ
وحقيق أن يستجاب دعاءه.

المبحث الثاني: الأسباب المانعة لاستجابة الدعاء

ذكرنا في المبحث السابق بعضاً من آداب الدعاء، التي إذا توخاها الداعي وراعاها فإنّه يكون قد استحقّ إجابة دعائه تفضلاً من الله تعالى وتكرماً، وإذا تخلّف أسباب استجابة الدعاء فلا ينتظر الداعي عند ذلك أثراً لدعائه.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -: الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلّف عنه أثره، أمّا لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله، لِمَا فيه من العدوان، وإمّا لضعف القلب وعدم إقباله على الله، وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإنّ السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وأمّا لحصول المانع من الإجابة، من أكل الحرام، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

(١) المصدر السابق، ٤٥٢/٧.



(ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب لاه) (١).

إنَّ الله سبحانه وتعالى قيّد إجابته لدعاء الداعين باستجابتهم لأوامره، وامتثالهم لتكاليفه، بشرط الإيمان به، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد وعد الله تعالى المتقين - وهم الممثلون بأوامره والمجتنبون لنواهيه - بتذليل ما شقّ عليهم من أمر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وبمفهوم المخالفة فإنه من لا يتقي الله لا يرجو ذلك.

إنَّ من أسباب موانع إجابة الدعاء الاعتداء فيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

إنَّ الاعتداء هو: "تجاوز الحدّ وفعل المحذور"، والاعتداء في الدعاء أنواعه كثيرة، روي ابن ماجه عن أبي بكر بن شيبه عن النبي ﷺ أنه قال: (سيكون قومٌ يعتدون في الدعاء) (٢).

روى الإمام أحمد عن أبي نعامة أنَّ عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: "اللهم إنِّي أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنّة إذا دخلتها"، فقال: يا بني

(١) المستدرک علی الصحیحین: للحاکم، کتاب الدعاء والتکبیر، برقم ١٧٨، ٣٦٤/٤ (المکتبة الشاملة).

وانظر: الجواب الکافی لمن سأل عن الدواء الشافی: لابن قیم، مرجع سابق، ص ٨-٩.

(٢) سنن ابن ماجه، کتاب الدعاء، باب کراهية الاعتداء في الدعاء، برقم ٣٨٥٤.

سَلَّ اللهُ الْجَنَّةَ، وَعَدُّ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (يَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّهْوَرِ)^(١).

وروى أبو داود عن أبي نَعَمَةَ عن ابنِ لِسَعْدٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا، وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَسَلْسِلِهَا وَأَغْلَالِهَا، وَكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنْ أُعْذِتَ مِنَ النَّارِ أُعْذِتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ)^(٢).

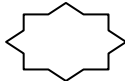
وأنواع الاعتداء في الدعاء كثيرة، منها: ارتكاب الكبائر أو الإصرار على الصغائر، والحقّ عزّ وجلّ قال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. ومن عدم محبته لهم أنّه لا يجيب دعائهم، وجاء في الأثر: (أوحى الله تعالى إلى داود: أن قل للظلمة من عبادي: لا يدعونني، فإنّي أوجب على نفسي أن أجيب من دعائي، وإنّي إذا أجبت الظلمة لعنتهم)^(٣).

إنّ لإجابة الدعاء شروطاً يجب توفرها في: الداعي، والدعاء، والمدعو به. وقد أورد الإمام القرطبي في جامعه حديثاً شافياً في هذا المجال، نوره سائلين الله له المغفرة والرحمة، ومما ذكره: فإنّ إجابة الدعاء لا بدّ لها من شروط في الداعي، وفي الدعاء، وفي الشيء المدعو به.

(١) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مغفل ﷺ، برقم ١٩٦٤٥.

(٢) سنن أبي داود، برقم ١٢٦٥، ٢٩٧/٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٣١٠/٢.



فمن شروط الداعي: أن يكون عالماً بأنه لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائل في قبضته، ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنباً لأكل الحرام وألا يمل من الدعاء.

ومن شروط المدعو به: أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً، كما قال: ما لم يدع بإثم أو قطعية رحم، فيدخل في الإثم كل ما يآثم به من الذنوب، ويدخل في الرحمة جميع حقوق المسلمين ومظلهم.

وشروط الدعاء - كما يقول سهل بن عبد الله التستري: - سبعة: التضرع، والخوف، والرجاء، والمداومة، والخشوع، والعموم، وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء: إن للدعاء: أركاناً، وأجنحة، وأسباباً، وأوقاتاً، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق موافقته فاز، وإن وافق أسبابه أجيب، فإن أركانه: حضور القلب، والرأفة، والاستكانة، والخشوع، وأجنحته: الصلوة، وموافقته الأسحار، وأسبابه: الصلاة على النبي محمد ﷺ.

وقيل: شرائطه أربع: حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يجلي، وحفظ البطن من الحرام.

وقيل: إن من شروط الدعاء: أن يكون سليماً من اللحن، كما أنشد

بعضهم:

ينادي ربه باللحن ليث كذاك إذا دعاه لا يجيب

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟



قال: "لأنَّكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبَّعوا سنَّته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نِعَمَ الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه، ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب النَّاس".

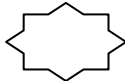
قال عليٌّ عليه السلام لنوف البكالي: "يا نوف إنَّ الله أوحى إلى داود أنْ مُرْ بني إسرائيل ألاَّ يدخلوا بيتاً من بيوتي إلاَّ بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإنِّي لا أستجيب لأحد منهم، ما دام لأحد من خلقي مظلمة، يا نوف لا تكوننَّ شاعراً، ولا عريفاً، ولا شرطياً، ولا جابياً، ولا عشاراً^(١)، فإنَّ داود قام في ساعة من الليل فقال: إنَّها ساعة لا يدعو عبد إلاَّ أستجيب له فيها إلاَّ أنْ يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عشاراً أو صاحب غرظية، وهي الطنبور أو صاحب كوبة - وهي الطبل - قال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحداً من الدعاء ما يعلمه من نفسه، فإنَّ الله قد أجاب دعاء شرِّ الخلق إبليس: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤ - ١٥]"^(٢).

من موانع إجابة الدعاء أنْ يدعو الإنسان بما هو مستحيل شرعاً، كأنْ يسأل الله أنْ يكون نبياً أو ما هو ينافي المعتاد عقلاً. ومن موانع إجابة الدعاء أنْ يدعو بطلب معصية، كأنْ يسأل أنْ يُسهل له شرب خمر أو ارتكاب فحشة. وألاًَّ يشغله الدعاء عن فرض من فرائض الله تعالى.

(١) "العرف": الذي يلي أمور طائفة من النَّاس، ويتعرَّف أمورهم، ويبلغها لأمر المؤمنين، و"الشرطي"

- كتركي وكجهني - هم أعوان الحاكم، و"العشار": من يتولى أخذ أعشار الأموال.

(٢) الجامع الأحكام القرآن، مرجع سابق، ٣١١/٢ - ٣١٣.



ومن هذه الشروط ما يكون مخالفته كفراً أو حراماً، ومنها ما لا يكون كذلك كما بينه الزركشي: "فمن الكفر الدعاء بالمغفرة لمن مات كافراً، أي يقيناً أو بطلب الراحة من أهوال القيامة أو بتخليد مؤمن في النار أو استدامة الحياة للراحة من هول الموت أو لجميع بني آدم بالسلامة من إبليس وجنوده أو بأن يرى الله في اليقظة أو أن يفيض عليه ما هو مختص بالقدرة الإلهية، كالإيجاد، والإعدام، والقضاء النافذ، لاستحالة ذلك في البعض وتكذيب خبر الصادق" (١).

كما أن من عدم إجابة الدعاء أن يتخلى الداعي عن الأدعية الماثورة بأدعية مستحدثة، وقد لا يفهم معناها، ظاناً أن الخير فيها، قال القاضي عياض: "أذن الله في دعائه في كتابه لخليقته، وعلم النبي ﷺ الدعاء لأُمَّته، واجتمعت فيه ثلاث أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللُّغة، والنصيحة للأُمَّة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد احتل الشيطان للناس من هذا المقام، فقيض لهم قوم سوء، يخترعون لهم أدعية يشغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء الصالحين، فيقولون: من دعاء نوح ﷺ، ودعاء يونس ﷺ، ودعاء أبي بكر الصديق ﷺ، فاتقوا الله في أنفسكم، لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح.

وقال الإمام محمد بن الوليد الطرطوسي في كتاب: "الأدعية": "ومن العجب العجاب أن تعرض عن الدعوات التي ذكرها الله في كتابه عن الأولياء والأصفياء مقرونة بالإجابة، ثم تنتقي ألفاظ الشعراء والكتّاب، كأنك قد دعوت

(١) الفتوحات الربانية، مرجع سابق، ٢٣٨٧.

د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل

في زعمك بجميع دعواتهم، ثم استعنت بدعوات مَنْ سواهم، وقد قيل: إنَّ أورد المشايخ وأحزابهم لا بأس بالاشتغال بها، غير أنَّ الخير والفضل إنَّما هو في اتِّباع المأثور في الكتاب والسُّنَّة، وهذا ليس كذلك، وفيهما ما يكفي السائل في سائر أوقاته" (١).

إنَّ من موانع إجابة الدعاء: استعجال الداعي إجابة دعائه، روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي) (٢).

وثبت في صحيح مسلم عنه ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل)، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: (يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي، فيتحرَّس عند ذلك ويدع الدعاء) (٣).

وفي هذين الحديثين بيان لمانع من موانع إجابة الدعاء، وإخبار منه ﷺ باستجابة دعاء العبد إذا انتفى هذا المانع، وكأنَّ الداعي حين يتعجَّل قد فقد الثقة في ربِّه عزَّ وجلَّ، والعبد بطبيعته جاهل لما فيه المصلحة، ومن هذا ينبغي للمسلم أن يستوفي شروط إجابة الدعاء، ويتأدَّب بآداب الداعي، ويظل يدعو

(١) الفتوحات الربانية، المرجع السابق نفسه، ١٧/١.

(٢) أخرجه الشيخان: البخاري في كتاب الدعوات برقم ٥٨٦٥، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٤٩١٦.

(٣) صحيح مسلم، باب بيان (يستجاب للداعي...)، برقم ٤٩١٨، ٢٧/١٣.

ويدعو مع ثقته التامة في إجابة دعائه، وذكر مكّي أنّ المدة بين دعاء زكريا عليه السلام وطلب الولد والبخارة أربعون سنة^(١).

وذكر ابن عطية عن ابن جرير، ومحمد بن علي، والضحاك، أنّ دعوة موسى عليه السلام على فرعون لم تظهر إجابتها إلاّ بعد أربعين سنة^(٢).

إنّ الإنسان خلقه الله تعالى، وأوجد فيه غرائز وفطر، فيكون أحياناً في غاية السرور والفرح من نفسه أو من أحد أقاربه وأصدقائه، وقد يتغيّر الحال تماماً، فيصير القريب عدواً، والعدو صديقاً، بل قد يدعو الإنسان أحياناً على نفسه وولده، ثم يندم بعد قليل، فلو استجيبت الدعوة لدام حزن هذا الإنسان إلى الأبد، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

إنّ من أكبر موانع استجابة الدعاء، والتي قد عمت بها البلوى، ولا يلتفت إليها كثير من الناس إلاّ من رحمه الله، وقليل ما هم، أكل الحرام، فقد بين ذلك هادي البشرية، ومعلم الإنسانية، محمد صلى الله عليه وآله في حديثه الذي أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّ الله طيب لا يقبل إلاّ طيباً، وإنّ الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا

(١) الفتوحات الربانية، مرجع سابق، ٢٥٠/٧.

(٢) المحرر الوجيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الخاربي، ٣٨٥/٣ (المكتبة الشاملة).



د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل

رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ﴿البقرة: ١٧٣﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء: يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنتى يُستجاب لذلك؟^(١).

في هذا الحديث دلالة على أنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل العمل، ولا يضاعف ثوابه، إلاّ أن يأكل الحلال، كما أنّ أكل الحرام يفسد الأعمال، ويجعلها غير مقبولة عنده عزّ وجلّ، وهذا لكلّ الأمم والرسل الذين أرسلوا إليهم، والمعنيين بالذكر هم النّاس جميعاً، وأمّا الرسل فمعصومون، ثم بيّن هذا الحديث العظيم - الذي هو أصل في هذا الباب - ويوضّح فيه الرسول عليه الصلاة والسلام صفات اتّصف بها الداعي، وكلّ منها يجعل الدعاء مظنة الإجابة، وهي:

[١] طول السفر والمسافر ممن يستجاب دعاؤه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: (ثلاث دعوات يستجاب لهنّ لا شكّ فيهنّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده)^(٢).

[٢] أن يكون الداعي أشعث أغبر:

وهذه الحالة أمانة على التذلل والخضوع والانكسار، وهي مظنة إجابة الدعاء، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: (رُبّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره)^(٣).

ومن السنّة عند الفقهاء الخروج لصلاة الاستسقاء في ثياب متواضعة خلقة، إظهاراً للخضوع والتذلل لله عزّ وجلّ، "كان مطرف بن عبد الله

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب، برقم ١٦٨٦، ١٩٢/٥.

(٢) سنن بن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد، برقم ٣٨٥٢، ٣٣٣/١١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، برقم ٤٧٥٤.



قد حُبس له ابن أخ، فلبس خلقان ثيابه، وأخذ عكازاً بيده، فقيل له: ما هذا؟
قال: أستكين لربي، لعله يشفعني في ابن أخي" (١).

[٣] رفع اليدين إلى السماء في الدعاء:

وهذه الحالة يرجى منها إجابة الدعاء، ففي سنن أبي داود وغيره عن
سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده
إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين) (٢).

[٤] الإلحاح في الدعاء وأن يقول: يا رب يا رب:

هذا أرحب لإجابته، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان
يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً) (٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سأل أحدكم
فليكثر، فإنه يسأل ربه) (٤).

وروي عن الأوزاعي - رحمه الله تعالى - كان يقول: "أفضل الدعاء الإلحاح
على الله والتضرع" (٥).

قال يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً: (ما من عبد يقول: يا رب يا رب؛ إلا
قال له ربه: لبيك لبيك).

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الحديث من جوامع الكلم: للإمام زين الدين

أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي البغدادي، طبعة دار الفكر، ص ٩٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ١٤٨٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، برقم ١٥٢٤.

(٤) صحيح بن حبان، كتاب الأدعية، برقم ٨٩٠، ٣٦٧/٤.

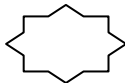
(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب أفضل الدعاء الإلحاح على الله، برقم ١١١٩، ١٦٦٣.



ثم روى أبو الدرداء رضي الله عنه وابن عباس - رضي الله عنهما - أنهما كانا يقولان: اسم الله الأكبر: رب، وعن عطاء قال: ما قال عبد: يا رب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه، فذكر ذلك للحسن فقال: أما تقرءون القرآن، ثم تلا قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٥]^(١).

كلّ هذه الحالات والصفات يرجى ممن اتصف بها إجابة الدعاء، فإذا اجتمعت في الداعي كان أرحم لقبول دعائه، ولكن هناك صفة واحدة اتصف بها هذا السائل منعت إجابة دعائه، وهي الكسب الحرام، فكان مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فلا ينتظر هذا إجابة لدعائه. ومما يعضد هذا الحديث ما رواه الطبراني - بإسناد فيه ضعف - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة، ووضع

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٩٢.



رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك، وزادك حلال، وراحلتك حلال، وحجّك مبرور غير مأذور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجّك غير مبرور^(١).

من هذا الأثر يتبيّن قبح وعظم تجني النَّاس على أنفسهم بالكسب الحرام، الذي صار اليوم بضعف الإيمان، والجري وراء إشباع رغبات النَّفس، التي لا تحدّها حدود وللمنافسة والتباهي في كماليات وضروريّات الحياة، وكذلك يكون العبد قد خدع نفسه ومتعها بعرض زائل، حيث يقول الحقّ عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. قال أبو عبد الله الناجي الزاهد - رحمه الله تعالى -: "خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله عزّ وجلّ، ومعرفة الحقّ، وإخلاص العمل لله، والعمل على السُّنّة، وأكل الحلال، فإنّ فقدت واحدة لم يرتفع العمل"^(٢).

خطات تظلمة:

من خلال هذا العرض يهدف البحث إلى توضيح الآداب التي يجب على الداعي مراعاتها عند لجوئه إلى ربّه عزّ وجلّ، فعدّ منها ما يسره الله ابتداءً بالتوجه لله عزّ وجلّ، وختاماً بالإلحاح على الله عزّ وجلّ، فأوجز في بعضها واسترسل، وأفاض في أخرى لأهميتها والحاجة إليها، كتحرّي أوقات استجابة

(١) المعجم الكبير: للطبراني، برقم ١٢٩٩، ٤٠/٢٠ (المكتبة الشاملة).

(٢) جامع العلوم والحكم، مرجع سابق، ص ٨٧.



د. يوسف إبراهيم محمد أبو سبيل

الدعاء، وأحوالها وأسبابها، من خلال الاستدلال بالآيات والأحاديث وأقوال العلماء.

كما أوضح البحث - أيضاً - الأسباب المانعة من استجابة الدعاء، والتي من أهمها الاعتداء في الدعاء، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

من خلال ذكر الأسباب والموانع لإجابة الدعاء حاول البحث أن يلفت انتباه الداعي إلى أهميتها، حتى يكون على بينة من أمره عند الدعاء. وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع، ويجعله صالحاً ولوجه خالصاً، إنه ولي ذلك، والقادر عليه. وصلى اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

